أثر كاساندرا

استمرار الجدل حول الإخفاق في التنبؤ بأحداث 7 أكتوبر

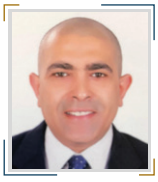

د.عمرو يوسف

باحث متخصص في الشؤون الإسرائيلية وشؤون الأمن القومي

جنود إسرائيليون في قطاع غزة ©Wikimedia Commons

شكَّل إخفاق إسرائيل في توقع هجوم حماس في 7 أكتوبر 2023 نموذجاً مثالياً لفشل الاستخبارات. صحيح أن الجيش الإسرائيلي وجهاز الأمن العام الشاباك أصدرا في فبراير/ مارس 2025 خلاصات تحقيقات مبدئية أجرياها لتحري أسباب الفشل، إلا أن هذه التحقيقات لم تزل تحت عنوان الخطوط العريضة ولم تتعرض للمسؤولية الشخصية للقيادات والمسؤولين. سوف يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى الاقتراب من الصورة الأشمل، علماً بأن التقرير الأشهر في إسرائيل (تقرير لجنة "أجرانات" عن فشل إسرائيل في توقع الهجوم المصري/السوري المشترك في 6 أكتوبر 1973) لم يكن سوى مقدمة لسلسلة طويلة من الأبحاث في فشل الاستخبارات ذاك اليوم.

كما أن فشل إسرائيل في 7 أكتوبر كان أيضاً نموذجاً لأثر كاساندرا[1]. تلقت إسرائيل، بخلاف معلومات الاستخبارات، تحذيران من طراز "كاساندرا" أحدهما كان علنياً. التحذير الأول جاء من وزير الدفاع الأسبق أفيغدور ليبرمان، الذي وجَّه كتاباً لرئيس الوزراء عام 2016 أشار فيه إلى أن حركة حماس تعتزم في الجولة المقبلة نقل المعركة إلى الأراضي الإسرائيلية واحتلال مستوطنات حدودية واختطاف رهائن، بما يدعو إسرائيل لعدم الانتظار وضرورة توجيه ضربة استباقية للقضاء على قيادات حماس. فيما جاء التحذير الثاني عام 2019 على لسان اللواء "احتياط" إسحاق بريك، بحكم خبرته كمفوض الشكاوى بوزارة الدفاع (2008 – 2018)، الذي حذَّر من قيام حماس بشن هجوم واسع على جنوب إسرائيل، ومن أن الجيش الإسرائيلي ليس مستعداً لهذا الهجوم.

يستهدف هذا المقال استعراض وجهات نظر للمتمرسين الإسرائيليين حول هذا الحدث من خلال عرض ثلاث دراسات[2] حول فشل الاستخبارات في 7 أكتوبر منشورة في دورية "معراخوت" (المجلة الرسمية للجيش الإسرائيلي) التي ترجع أهميتها إلى نوعية مقالاتها – لأنها بالأساس كتابات مهنية مستندة إلى خبرات عملية وخلفية أكاديمية– وإلى القراء المستهدفين، ألا وهم سلك الضباط بالجيش الإسرائيلي.

7 أكتوبر: النمط والاستثنائية

تشترك الدراسات الثلاث في المقارنة بين أكتوبر 1973 وأكتوبر 2023؛ بمعنى إخفاق إسرائيل في التوقع وفي تطبيق توصيات لجنة "أجرانات"؛ بما أدى إلى فشل 2023. وفي هذا الصدد، يتفق أوري بار-يوسف، وأفنير بارنيع، ودورون بينكاس، في أن الخطأ متماثل في الحالتين، ألا وهو الارتساء (حين تسيطر فكرة معينة على المحللين بحيث لا يستطيعون التفكير خارج إطارها)، ذلك أن المفهوم السائد لدى إسرائيل قبل 7 أكتوبر كان يتمثل في أن هجوماً واسع النطاق من جانب حماس غير وارد بالمطلق، كون أن حماس مرتدعة وليس لديها نيات للهجوم، بالرغم من أن قدرات حماس وتدريباتها كانت معلومة جيداً لإسرائيل، وهو أشبه بما رصدته لجنة "أجرانات" من أن الفشل في صد الهجوم العربي 1973 يرجع إلى الاعتماد على تقدير "أمان" بأنه ليس في "نيات" قادة مصر وسوريا شن هجوم بالرغم من أن "قدرات واستعدادات" الجيشين المصري والسوري كانت تُمكنهما من ذلك.

وهنا يضيف بار-يوسف، أنه عقب مفاجأة 6 أكتوبر انتقلت "أمان" في تقديراتها مرحلياً من "مبدأ بوليانا"؛ بمعنى الارتكان إلى التوقعات المتفائلة، إلى "أثر كاساندرا"، بمعنى المبالغة في خطورة التهديدات والتقليل من الفرص (مثل التحذير عام 1977 من أن مبادرة السادات ليست سوى تمويه لشن هجوم مفاجئ). كما يشير بارنيع إلى أن إحدى توصيات لجنة "أجرانات" تمثلت في إقامة إدارة داخل كل جهاز استخبارات تتولى نقد ومراجعة المفاهيم المستقرة فيما يخص العدو، وهو ما لم يكن فعَّالاً حتى صبيحة 7 أكتوبر 2023.

كما تشترك دراستان في اعتبار أنه بالرغم من أن فشل 7 أكتوبر لم يكن الفشل الأول لإسرائيل في توقع هجوم/خطر وشيك؛ فإنه كان استثنائياً في بعض ملامحه. اتصالاً بذلك، يسرد بار-يوسف سجل "أمان" في مهمة الإنذار المبكر عن وقوع هجوم معاد أو خطر وشيك، والذي يتمثل في الوقائع الخمس التالية (مضافاً إليها أكتوبر 1973 كما تقدم):

- **العملية "روتيم" 1960:** فشلت "أمان" في توقع حشد 3 فرق مدرعة مصرية في سيناء بالقرب من الحدود المشتركة (كتهديد رداً على عمليات إسرائيل ضد سوريا) إلى أن تم رصده واقعاً في فبراير 1960.
- **أزمة مايو/يونيو 1967:** فشلت "أمان" في توقع التصعيد المصري رداً على تهديدات إسرائيل لسوريا وظلت متمسكةً – حتى يوم 22 مايو 1967– بعقيدة مفادها أن مصر لن تقدم على التصعيد بالحرب طالما ظل الجيش المصري متورطاً في حرب اليمن.
- **حرب الاستنزاف 1969:** نجحت "أمان" في توقع أن تستأنف مصر القتال بشكل مكثف بداية عام 1969 وبالفعل بادرت مصر بشن الحرب في 8 مارس من العام نفسه.
- **التدخل السوفيتي في حرب الاستنزاف 1970:** فشلت "أمان" في توقع ذلك – إلى أن تم رصده واقعاً في 18 إبريل 1970– وظلت متمسكة بعقيدة مفادها أن الاتحاد السوفيتي لن يقدم على ذلك بسبب خشيته من مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة فضلاً عن الصعوبات اللوجستية للتدخل عسكرياً في منطقة بعيدة عن حدوده.
- **طوفان الأقصى 2023:** فشلت "أمان" في توقع هجوم حماس، وظلت – بالرغم من توافر إنذارات محلية بقيام حماس بنشاط غير طبيعي أثناء ليلة 6/7 أكتوبر– متمسكةً بعقيدة أن "حماس مرتدعة" حتى وقوع الهجوم نفسه في 06:30 من صباح يوم 7 أكتوبر.

يخلص بار-يوسف إلى أن سجل "أمان" حافل تاريخياً بالفشل في توفير الإنذار المبكر (فشلت في خمس وقائع ولم تنجح سوى في واحدة فقط)، مضيفاً استثناءً أول، ألا وهو أن 7 أكتوبر كان مفاجأةً كاملةً، بعكس 6 أكتوبر الذي نجحت شكوك إسرائيل على الأقل به، في قيام رئيس الأركان عندئذ يوم 5 أكتوبر بدفع تعزيزات على الجبهة ورفع الاستعداد إلى الحالة "ج". يتفق بارنيع مع سرد بار-يوسف لسجل "أمان" الفاشل ويضيف استثناءين آخرين، أولهما أن 7 أكتوبر كان الفشل الأول في تقديم إنذار مبكر عن هجوم تشنه "منظمة إرهابية"، وليست دولة بجيش تقليدي، والثاني أنه بعكس عام 1973، والذي نشأ فيه المفهوم المغلوط عن العدو لدى "أمان" ونقلته إلى المستوى السياسي، فإن المفهوم المغلوط عام 2023 قد نشأ أولاً لدى المستوى السياسي الذي نقله للجيش.

قوات إسرائيلية أثناء حرب 1973 © Wikimedia Commons

للفشل وجوه كثيرة

تعرض كل دراسة من الثلاث منظوراً مختلفاً فيما يخص الأسباب التي أدت لفشل توقع هجوم 7 أكتوبر، سواءً من حيث الارتساء أم استثنائية فشل 7 أكتوبر استخبارياً. يُرجع بينكاس الفشل إلى الاعتماد على تقدير "نيات" العدو بدلاً من تقدير "قدرات" العدو على شن هجوم. وفي هذا الصدد، يفند مزاعم صعوبة الاستناد إلى تقدير "القدرات" بدلاً من "النيات": من حيث أن ذلك يقتضي الاستعداد ضد أي دولة مجاورة ذات قدرات تُمكنها من الهجوم (على إسرائيل ألّا تساوي بين دول تربطها بها علاقات سياسية قوية وليس بينها صراع على الأرض أو خلاف أيديولوجي وبين تلك الدول والكيانات التي هي في صراع فعلي مع إسرائيل وتعلن صراحةً اعتزامها تدميرها) كما يقتضي قيام إسرائيل حشد قوات بشكل دائم على كافة الجبهات (الأحرى أن يقتصر الطرف المُدافع على الاستعداد بقوات تكفي لتعطيل هجوم العدو والحيلولة دون أن يسفر عن نجاحات ملموسة إلى حين وصول قوات الدعم). ويضرب مثلاً بأنه كان من الممكن منع كارثة 7 أكتوبر – حتى بعدد القوات نفسه الذي كان متمركزاً على الحدود في هذا اليوم– إذا كانت هناك قدرات بالنيران، برية وجوية، يمكنها مواجهة هجوم حماس بالمظلات، وكذلك إذا كانت الدفاعات في المواجهة مُعدة بشكل أفضل، مثل إضافة مانع مائي يُبطئ من حركة المركبات التي اقتحمت السور الفاصل مع قطاع غزة.

أما بار-يوسف، فيعزو الفشل إلى خلل بُنيوي يتمثل في كون "أمان" هي المسؤولة حصراً عن "تقدير الاستخبارات الوطني" في إسرائيل، مشيراً إلى الصعوبات التي تحول دون تمكن "أمان"، كجهة عسكرية، من توفير "تقدير الاستخبارات الوطني":

- **التعارض بين منظومة المؤسسة العسكرية بشكل عام،** التي تستند إلى التراتبية وطاعة الأوامر، وبين قيم البحث التي تتمثل في حرية التفكير والنقد والنقاش المفتوح.
- **التخصص والعمل باحترافية:** متوسط مدة الخدمة الإلزامية بالجيش الإسرائيلي هو 3 سنوات، علماً بأن أي باحث يحتاج إلى سنتين أو أكثر لكي يبدأ في التمكن من تخصصه.
- **نظام التقاعد بالجيش:** يتقاعد الضباط العاملون بالجيش الإسرائيلي في متوسط سن 45 عاماً، بينما يبلغ الباحث المتخصص في هذا السن ذروة قدراته وتراكم المعرفة لديه.
- **تجنيد الكفاءات:** عدد كبير من خريجي أقسام الشرق الأوسط بالجامعات الإسرائيلية ليسوا ضباطاً بالجيش ويجد الجيش صعوبة في ضمهم للجيش العامل بعد تخرجهم (وهو ما يضاف إلى التقاعد المبكر الذي يعني مساراً مهنياً قصيراً في قسم الأبحاث بالشعبة).

أما بارنيع فيُرجع الفشل الإسرائيلي إلى حالة من "التفكير بالتمني" (Wishful Thinking-) بأن حماس مرتدعة وليس لديها نيات للهجوم، وهو المفهوم الذي ساد بسبب عاملين، الأول هو الاعتقاد في إمكانية ممارسة الردع تجاه المنظمات الإرهابية. من وجهة نظره، فإن ذلك اعتقاد خاطئ لثلاثة أسباب رئيسية: (1) الإرهابيون ليسوا عقلانيين من الأصل، (2) يسعى الإرهابيون إلى تحقيق هدفهم بأي ثمن، (3) لا يخشى الإرهابيون تبعات أعمالهم، بمعنى الاختلاف الكامل عن مفهوم الردع تجاه الدول الذي يستند بالأساس إلى افتراض ممارسة العقلانية وحسابات المكسب والخسارة.

أما العامل الثاني، فهو مواءمة مفهوم "حماس مرتدعة" لنهج الحكومات الإسرائيلية المتتابعة برئاسة نتنياهو بالسعي لإعاقة إقامة دولة فلسطينية من خلال الفصل بين قطاع غزة والضفة الغربية عبر تعزيز سلطة حماس في قطاع غزة بوسائل غير مباشرة، وعلى رأسها السماح بإدخال الأموال نقداً حتى مع العلم بأن أغلبها يُستخدم لأغراض التسليح. يعزو الكاتب بدايات هذا المفهوم إلى نهاية عملية "الجرف الصامد" 2014، وتصريحات نتنياهو عندئذ بأن الضربة القاسية التي تلقتها حماس وقدرة إسرائيل على منعها من استعادة قدراتها العسكرية، إنما يعززان فرص تحقيق هدوء بعيد المدى. ثم انتقل هذا المفهوم للقيادات العسكرية منذ ذلك الحين لسنوات، حتى إن رئيس "أمان" أشار عام 2019 إلى أن "حماس مرتدعة للغاية من وقوع حرب"، وإلى أنه قد أصبح لديها ما تخشى عليه في حكم قطاع غزة. وقد صار مفهوم "حماس مرتدعة" من القوة لدرجة أنه انعكس في تقرير الشاباك يوم 7/10 في 03:17 وذكر أن "هناك شواهد

على استعداد للطوارئ من جانب حماس، ومع ذلك فالتقدير أن حماس ليست معنية بالتصعيد ولا تريد الحرب".

يشير بارنيع أيضاً إلى فشل مهني من جانب الاستخبارات تمثل في غياب مصادر من البطانة المحيطة بقائد حماس يحيى السنوار، فضلاً عن تجاهل نتيجة معرفة الاستخبارات الإسرائيلية بشخصيته، كونه يتصرف وفقاً لاعتبارات أيديولوجية بحتة ولم يكن هناك ما يدعو للاعتقاد أنه قد صار معتدلاً. استطرد بارنيع هذه الحجة في مقال آخر بتأكيد أن قصور التنسيق بين "أمان" والشاباك (الأول مسؤول عن استخبارات الإشارات والثاني مسؤول عن الاستخبارات البشرية) أضعف التغطية الاستخبارية لحركة حماس، بالرغم من وجود مدونة للتعاون بين الجهازين عام 2016، بالإضافة إلى إخفاق الشاباك في تجنيد ذوي الحيثية في القطاع منذ استيلاء حماس عليه عام 2007 حتى إنه فشل في تجنيد أي من الآلاف الذين شاركوا في هجوم 7 أكتوبر، فيما كانت قررت "أمان" في وقت سابق إغلاق وحدة "استخبارات المصادر المفتوحة" لديها بما أدى لتجاهل نشر حركة حماس لمقاطع مصورة من التدريبات على الهجوم على وسائل التواصل الاجتماعي[3])أشارت مصادر إلى أن الوحدة 8200 المسؤولة عن استخبارات الإشارات في "أمان" قد أوقفت قبل عام كامل من الهجوم التنصت على شبكات الاتصال لحماس باعتبار ذلك مضيعة للجهد(.[4]

يلاحظ أن التفسيرات المختلفة أعلاه لفشل إسرائيل في 7 أكتوبر تندرج بدرجات متفاوتة تحت المدارس الثلاث لتفسير فشل الاستخبارات وفق معرض إريك دال في كتابه "الاستخبارات والهجوم المفاجئ"[5]. هذه المدارس الثلاث هي المدرسة التقليدية (الفشل في تمييز المعلومات ذات الصلة عن "صخب" المعلومات الغزيرة المتوفرة)، والمدرسة الإصلاحية (العوامل المؤسسية والقيود البيروقراطية تعوق نفاذ المعلومات والتقييمات الصحيحة)، والمدرسة المخالفة (إخفاق أجهزة الاستخبارات في الحصول على المعلومات ذات الصلة بشكل كافٍ). هناك مدرسة رابعة هي المدرسة الفردية/ النفسية (الفشل يرجع إلى عوامل نفسية، تتراوح ما بين الانغلاق والنرجسية والبارانويا، لدى الشخصية المركزية في تقييم الاستخبارات). لم يتبن أي من التفسيرات أعلاه المدرسة النفسية، بالرغم من أن بار-يوسف هو أحد روادها،[6] ربما بحكم أن المعلومات المتوافرة ونتائج التحقيقات المنشورة حتى الآن لم تُشر إلى دور الشخصيات الرئيسية في اتخاذ قرارات إسرائيل قبل 7 أكتوبر.

في جميع الأحوال، جاءت خلاصات التحقيقات المبدئية التي أصدرها الجيش الإسرائيلي والشاباك في فبراير/مارس 2025 مُصّدقةً للتفسيرات الثلاثة[7]. أشارت الخلاصات صراحةً إلى تمكن مفهوم "حماس مرتدعة" وتأثيره في تحليل الاستخبارات، وإن كانت قد تجنبت اتهام المستوى السياسي بالمسؤولية عن غرس هذا المفهوم، وحددت، بخلاف ذلك، الإخفاقات التالية:

- **"سور أريحا":** حصلت "أمان" والشاباك تدريجياً خلال الأعوام 2018-2022 على معرفة بالخطة التفصيلية لهجوم حماس في 7 أكتوبر (أُطلق عليها الاسم الكودي "سور أريحا"). رأى قسم الأبحاث في "أمان" أن حماس ليست لديها القدرة على تنفيذ

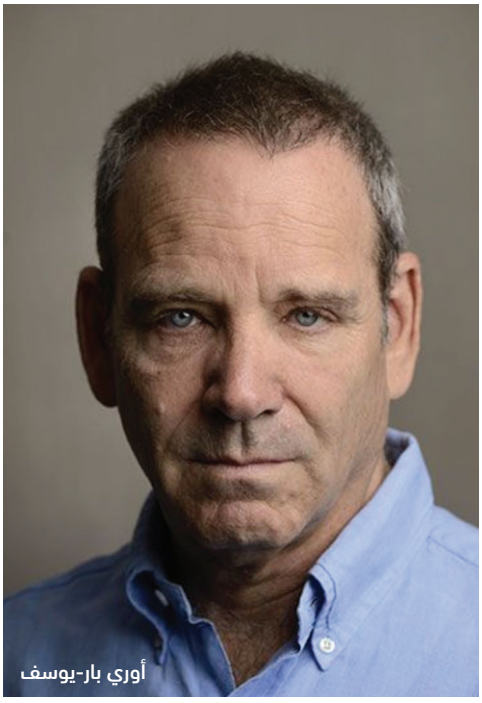
أوري بار-يوسف

هـذه الخطـة، ثـم اعتـبر في يونيـو 2019 أن حمـاس تخلـت عنهـا. رصـدت "أمـان" في يوليـو 2023 تدريبـاً لحمـاس يحاكـي "سـور أريحـا"، وتـم نقـل هـذا التحذيـر في حينـه لقيـادات المنطقـة الجنوبيـة وفرقـة غـزة، إلا أنـه لـم يلـق الاهتمـام الـلازم، بـل إن قسـم الأبحـاث وقيـادة المنطقـة الجنوبيـة أصـدرا كتابـاً بتاريـخ 20/9/2023 يحـدد الـشروط اللازمـة لقيـام حمـاس بشـن هجـوم، وأكـد مجـدداً أن حمـاس مرتدعـة ومعنيـة بالهـدوء لصالـح مواطنـي غـزة. كذلـك لـم يتعامـل الشـاباك مـع الخطـة بالجديـة اللازمـة، بالرغـم مـن معرفتـه بهـا منـذ عـام 2022، وعندمـا بـدأت بعـض الدلائـل عـلى الاسـتعداد لهـا في صيـف 2023 لـم يتـم الربـط بينهمـا.

- **غـزارة المعلومـات وسـوء التقديـر:** بالرغـم مـن أن "أمـان" كانـت "تسـبح في بحـر هائـل مـن المعلومـات"؛ فإنهـا لـم تفلـح في أن تسـتنبط منـه نيـات حمـاس، وتلقـت غـير ذات مـرة معلومـات مخالفـة للافتراضـات السـائدة، إلا أنـه تـم تفسـير هـذه المعلومـات بشـكل خاطـئ – وفقـاً للمفهـوم السـائد لـدى قسـم الأبحـاث ومفـاده أن السـنوار معنـيٌ بالتهدئـة– مثلمـا تـم تفسـير تعاظـم قـدرات حمـاس مـن الطائـرات المسـيرة وإمكانـات الاقتحـام عـلى أنهـا تسـتهدف أغراضـاً دعائيـة، فيمـا اسـتمر التركيـز عـلى الأنفـاق مـا بـين إسرائيـل وقطـاع غـزة عـلى أنهـا أسـاس قـدرة حمـاس الهجوميـة.

- **نقـص في جمـع وتحليـل المعلومـات ذات الصلـة:** واجهـت "أمـان" صعوبـات في الحصـول عـلى هـذه المعلومـات بسـبب اختـلال سـلم الأولويـات لديهـا؛ إذ ركـزت غالبيـة المـوارد البشريـة لديهـا عـلى القـدرات التكنولوجيـة، وأهملـت وظائـف الأبحـاث. كذلـك الأمـر مـع الشـاباك الـذي أخفـق ليـس فقـط في تجنيـد عنـاصر ذات حيثيـة مـن حمـاس، وإنمـا أيضـاً في الاسـتغلال الـكافي لأجهـزة الاستشـعار التـي تمكـن مـن زرعهـا داخـل القطـاع عـلى مـدار السـنوات الماضيـة.

- **"محامـي الشـيطان":** بالرغـم مـن وجـود وحـدة للرقابـة منـوط بهـا مراجعـة ونقـد تقييمـات الاسـتخبارات (يُطلـق عليهـا لذلـك "محامـي الشـيطان") بـكل مـن الجهازيـن؛ فـإن هـذه الوحـدة بالشـاباك لـم تقـم بذلـك نتيجـة تقليـص دورهـا تدريجيـاً عـلى مـدار عقـد كامـل (أشـارت مصـادر أخـرى إلى تقريـر أصدرتـه الوحـدة المماثلـة في "أمـان" عـام 2017 وضعـت فيـه سـيناريو قيـام حركـة حمـاس باخـتراق السـياج واحتـلال خمـس

مستوطنات إسرائيلية، غير أنه تم رفض هذا السيناريو باعتباره غير واقعي)[8].

- **قصور التنسيق:** لم يتم تحديد نطاق مسؤولية "أمان" والشاباك كل على حدة فيما يخص حماس التي تحولت من "منظمة إرهابية" إلى "جيش إرهابي"، وكان الأجدى الاستفادة من الميزة النسبية لكل منهما، ليصبح الشاباك مسؤولاً عن مكافحة الإرهاب والتحذير من وقوع هجمات إرهابية و"أمان" مسؤولة عن الإنذار من وقوع حرب على طول الحدود.
- **المعرفة والسلطة:** سادت لدى قسم الأبحاث في "أمان" ثقافة بالثقة في معرفة حقيقة الأوضاع على الأرض وتجاهل الآراء الأخرى، والأرجح أن الدور المركزي الذي يؤديه قسم الأبحاث في توجيه سياسة إسرائيل قد أعاق القدرة على نقد المفاهيم السائدة لدى هذا القسم على كافة المستويات.

استخلاص العِبَر

بناءً على منظورها لأسباب الفشل، طرحت كل دراسة مقترحاً مختلفاً للإصلاح فيما يخص تنبؤات الاستخبارات. يتمثل مقترح بار-يوسف في الاقتداء بالدول الغربية في إقامة جهاز يتبع رئيس الوزراء يحل محل "أمان" في مهمة "تقدير الاستخبارات الوطنية"، وذلك على غرار اللجنة المشتركة للاستخباراتJIC في بريطانيا ومكتب التقديرات الوطنية ONA في أستراليا، كما يلي:

- يتشكل الجهاز من طاقم مدني محدود يتم تعيين أفراده لاعتبارات الكفاءة والتخصص وألا تكون متأثرة بسياسات أو أجندة معينة (أي بخلاف الوضع الحالي لمجلس الأمن القومي الإسرائيلي).
- توضع سياسة للموارد البشرية بحيث يتم تعيين أعضاء الجهاز بشكل دائم بعد فترة اختبار بما يضمن لهم الاستقرار الوظيفي بمزايا تماثل الممنوحة لأعضاء سلك القضاء وهيئات التدريس بالجامعة (التقاعد في سن متقدم والحصانة من الفصل إلا للمخالفات الجسيمة).
- يتلقى هذا الجهاز من أجهزة الاستخبارات الثلاثة (الموساد وأمان والشاباك) تقارير تحليلية ومواد استخبارات خام (بعد فحصها) يتم بناءً عليها إعداد تقديرات للملفات الاستراتيجية المركزية.

يخلص بينكاس إلى أن القدرات تشير بالضرورة إلى النيات؛ ومن ثم ينبغي على إسرائيل أن تستند في إعدادها للدفاع إلى تقييم قدرات واستعدادات العدو، فإذا ما كانت حماس تتدرب على احتلال البلدات الحدودية ولديها القدرة على ذلك، فينبغي الافتراض أنها سوف تقوم بذلك فعلاً وقتما يتسنى لها، خاصةً إذا كانت إسرائيل تواجه عدواً يصعب استنباط نياته؛ لأنه ذو نظام ديكتاتوري. كما ينوّه بينكاس إلى أن مقترحه لا

يتعارض مع أساسيْ نظرية الأمن الإسرائيلية من حيث الردع والإنذار المبكر، بل يتسق معهما؛ ذلك أن الاستعداد المناسب على نحو ما تقدم يشكل في حد ذاته جزءاً من الردع، كما ينبغي تواصل السعي للحصول على الإنذار المبكر بشن هجوم من جانب العدو؛ من أجل الاستعداد الأفضل، وإن كان لا يمكن الاعتماد عليه وحده. أما بارنيع فيوصي بأنه لا يمكن ممارسة الردع تجاه "المنظمات الإرهابية"؛ لأنها تنتهج نهجاً غير عقلاني من الأصل، وعلى الدولة وضع سياسات تجاهها وفقاً لذلك، بالإضافة إلى أهمية تفعيل دور وحدة الرقابة بكل جهاز استخبارات تكون مهمتها تمحيص المفاهيم المستقرة فيما يخص العدو ومراجعتها دورياً.

لم تُغفل تحقيقات الجيش الإسرائيلي والشاباك مقترحات للإصلاح بناءً على الدروس المستفادة، وجاء البعض منها مما ذكرته هذه الدراسات. ومن ذلك، أن قررت "أمان" التعامل الاستخباري تجاه حماس باعتبارها عدواً متعدد الجبهات يعمل في غزة وخارجها، ووضع منظومات لتوزيع المعلومات الاستخبارية ذات الصلة على من يعنيهم الأمر، وتنظيم أفضل للتعاون مع جهازي الموساد والشاباك. كذلك الأمر من جانب الشاباك الذي قرر إقامة منظومة جديدة للرقابة تتولى تمحيص ونقد المفاهيم والافتراضات السائدة، وتعزيز منظومة الاستخبارات البشرية في قطاع غزة لتكون على غرار المنظومة القائمة في الضفة الغربية، وتحديد نطاق المسؤوليات مع "أمان" عن قطاع غزة، بما في ذلك تشكيل طاقم للتعاون مع الوحدة 8200.

إجمالاً، يظل التحدي قائماً بالنسبة للاستخبارات الاستباقية، سواءً في إسرائيل أم غيرها، وسبق أن طُرحت حلول ناجعة لم تثبت فعَّاليتها في ظروف مختلفة. مثال ذلك مقترح تفعيل دور وحدة المراقبة الذي يواجه بدوره مشكلتين رئيسيتين، تتعلق الأولى بالتطبيع معها (وربما ذلك ما حدث بالفعل في إسرائيل) بحكم أن رأي الوحدة سيكون خطأً في غالبية الأحداث، والثانية بصعوبة نقد الرأي السائد في مؤسسات أساسها التراتبية وطاعة الأوامر[9].

وقد تواجه مقترحات أخرى – مثل إقامة جهاز مستقل يتولى "تقدير الاستخبارات الوطني"– عوائق سياسية ومؤسسية تجهضها. في النهاية، لن تكون هناك حلول سحرية لتفادي "كاساندرا" أخرى، وقد يكمن الأمر في العودة لمبادئ أساسية مثل أهمية ألا تقع أجهزة الاستخبارات تحت تأثير المرآة المعكوسة، مثلما فسرت إسرائيل نيات حماس وفقاً لمنظورها الغربي، بالإضافة إلى التحذير من الاعتماد الزائد على التكنولوجيات المتقدمة وتجاهل المعرفة العميقة بثقافة وتقاليد العدو ونظرته للعالم[10]. وإن كان قد تم التحذير من الاعتماد الزائد على التكنولوجيات المتقدمة، فإن ذلك لا يعني الإحجام عن الاستفادة منها، ومن ذلك إدماج الذكاء البشري بالاصطناعي لتحسين قدرات التنبؤ وتوظيف نموذج "تحليل الفرضيات المتنافسة".[11] وذلك كله في إطار استمرار سعي أجهزة الاستخبارات للحصول على معلومات دقيقة، وعلى المستوى التكتيكي، لإعداد تقييمات متوازنة تُرفع لصانعي القرار ممن يكون لديهم القدرة على الاستماع للآراء المخالفة والعمل وفقاً لتغيرات الموقف[12].

الهوامش:

1- Muhammad Alaraby, “Cassandra of Gaza: Why Israel failed to anticipate the October 7 attacks (Future for Advanced Research and Studies, Dec. 20, 2023).

2- أوري بار-يوسف، ”الإنذار المبكر في أزمة“ (بالعبرية)، معراخوت، العدد 501 (يناير 2024)، ص 27-22؛ أفنير بارنيع، ”حماس مرتدعة كتفكير بالتمني: تحليل واقعة هجوم حماس في 7 أكتوبر“، معراخوت، العدد 502 (مايو 2024)، ص 29-24؛ دورون بينكاس، ”الطريق إلى جهنم مفروش بالنيات الحسنة: القدرات مقابل النيات“، معراخوت، العدد 504 (ديسمبر 2024)، ص 61-56.

3- Avner Barnea, “Israeli Intelligence Was Caught Off Guard: The Hamas Attack on 7 October 2023: A Preliminary Analysis,” International Journal of Intelligence and Counter-intelligence 37, no. 3 (2024).

4- Ronen Bergman, Mark Mazzetti, and Maria Abi-Habib, “How years of Israeli failures on Hamas led to a devastating attack,” The New York Times (Oct. 29, 2023).

5- Erik J. Dahl, Intelligence and surprise attack: Failure and success from Pearl Harbor to 9/11 and beyond (Georgetown University Press, 2013), pp. 9-14.

6- Uri Bar-Joseph and Rose McDermott, Intelligence Success & Failure: The Human Factor (Oxford University Press, 2017).

7- نير دفوري ونيتسان شابيرا، ”تحقيقات الجيش الإسرائيلي – تقصير 7/10: هكذا يظهر الفشل الاستخباري للجيش“ (بالعبرية)، N12 (27 فبراير 2025)، https://tinyurl.com/3pfzpcwz

نيتسان شابيرا، ”حماس لم تعتبر جيشاً وتهديد الغزو لم يعتبر جدياً: تحقيقات الشاباك تتكشف“ (بالعبرية)، N12 (4 مارس 2025)، https://tinyurl.com/4a5n9uk6

8- إيتاي إليناي، ”تحت مسؤوليته: رحلة في أعقاب فشل رئيس أمان – فشل المؤسسة بأكملها“ (بالعبرية)، Ynet (8 ديسمبر 2023)، https://www.ynet.co.il/news/article/yokra13705161

9- Michel Wyss, “The October 7 Attack: An Assessment of the Intelligence Failings,” CTC Sentinel 17, no. 9 (Oct. 2024), p. 6.

10- Ori Wertman and Christian Kaunert, “Intelligence and Securitization: AMAN 2023’s Failed Conception,” International Journal of Intelligence and Counterintelligence (2024), p. 19.

11- محمد العربي، ”الاستخبارات الاستباقية: التنبؤ وبناء سياسات الأمن القومي“، دراسات المستقبل، العدد 15 (سبتمبر 2023)، ص. 40-32

12- Dahl, Intelligence and surprise attack, 175-179.